

دلالة الصمت وصوره في القصة السعودية القصيرة (الخبز والصمت)**دكتورة/ هدى حلمي أبو المجد الجندي**أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية العلوم والآداب بالبيكيرية، جامعة القصيم**الملخص:**

قامت الدراسة على التعرف بمصطلح الصمت، وهو من المصطلحات التي اشتملت على مفاهيم متعددة ومتنوعة، وتتوع دلالاته سواء في المعاجم أو عند علماء البلاغة واللغة، وهو من المصطلحات التي تستخدم في الفنون الأدبية وخاصة في فن القصة القصيرة، واستعرضت كذلك بعض المصطلحات التي تدل عليه كالسكون والحذف والإشارة للوقوف على الفروق الدقيقة بين تلك المصطلحات، ثم تناولت تعريف فن القصة القصيرة ونشأتها وتطورها في المملكة العربية السعودية ومراحل ازدهارها، أما الجانب التطبيقي للدراسة كان على مجموعة (الخبز والصمت) لرائد من رواد القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية وهو الكاتب محمد علوان، وهي أولى أعماله القصصية .

الكلمات المفتاحية: الصمت، السكون، الإشارة، القصة، القصيرة، الخبز، والصمت الموت، المنولوج، محمد علوان.

**The significance of silence and its portrayal in the Saudi short story
(Bread and Silence)**

Dr. Hoda Helmy Algandye

**Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic
Language and Literature**

Faculty of Science and Arts at the Qassim University

Abstract:

The study is based on the identification of the term silence, which is one of the terms that included multiple and diverse concepts, and the diversity of its significance, whether in dictionaries or in scholars of rhetoric and language. It is one of the terms used in the literary arts, especially in the art of short story. It also reviewed some terms that indicate it, such as silence, deletion and reference to identify the nuances between those terms. Then it dealt with the definition of the art of the short story, its origin and development in the Kingdom of Saudi Arabia and the stages of its prosperity. The applied aspect of the study was on the group (bread and silence) One of the pioneers of the short story in the Kingdom of Saudi Arabia, the writer Mohammed Alwan, which is his first story work.

Keywords: silence, stillness, sign, story, short, bread, silence, death, menology, Mohammed Alwan.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيد الخلق
أجمعين سيدنا محمد صل الله عليه وسلم وعلى آل وصحبه ومن تبعه ليوم الدين..
وبعد...

من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده أن جعل لهم لساناً يعبرون به عن
مكونهم يتواصلون فيما بينهم بلغة متعارف عليها بينهم، فتعددت اللغات لنجد الناس
مختلفي الألسن، وعلى ذلك كان من هناك لغة الصمت التي نجد البشر يستخدمها فيما
بينهم في مواطن عديدة منها مواطن ممدوح، ومواطن مذمومة، ومنها مقامات تستدعي
الصمت ابتغاء الحكمة أو السلامة أو الاحتراس أو التمرد....

جاء هذا البحث يقف على أسلوبية رائعة لا يبرع بها إلا أديب ذو موهبة إبداعية
حتى لا يتحول عمله الأدبي إلى لغز يحيطه الإبهام والغموض.

لذلك جاءت تلك الدراسة تشتمل على ثلاث مباحث: المبحث الأول اشتمل على
تعريف فن القصة القصيرة ومصطلحاتها المتنوعة، وعرضت كذلك بدايتها وتطورها في
المملكة العربية السعودية.

والمبحث الثاني: استعرضت فيها تعريف الصمت في المعاجم وعند أهل اللغة
والبلاغة، وكذلك المصطلحات التي تنوعت له من سكوت، الإشارة للإيماء...، وكذلك
دلالاته في القرآن والسنة، والشعر العربي والرواية والمسرح.

والمبحث الثالث: اشتمل على نبذة تعريفية للكاتب محمد علوان، ثم الجزء
التطبيقي على مجموعة قصصية للكاتب محمد علوان وهي مجموعة تحمل جزء من
البحث وهو الصمت (الخبز والصمت).

ثم ذيلت البحث بخاتمة، ومن بعدها إثبات للمصادر والمراجع.

دوافع البحث:

تأتى رغبة في دراسة دلالة الصمت وصوره في فن القصة القصيرة السعودية.

أهمية البحث:

تكمن في محاولة استكشاف صور الصمت المتعددة وطريقة عرضها في فن من
أكثر أنواع الفنون الأدبية براعة فن القصة القصيرة، وبراعة الأديب في تنوع عرض
صور الصمت في قصصه.

أهداف البحث:

دراسة مجموعة قصصية لكاتب من رواد القصة القصيرة السعودية، دراسة فنية.

استكشاف دلالة الصمت وصوره وبيان فنياته في تناول الكاتب له.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي الذي يقول على التحليل، واستقصاء لأشكال الصمت وصوره.

الدراسات السابقة:

وهي دراسات تناولت قصص محمد علوان على وجه الخصوص، ووقفت نفسها على معالجة قصصه أو مجموعاته، ونشرت في كتب أو مجلات دورية. التفاعل بين الذوات في نموذج أقصوصتي من مجموعة محمد علوان الخبز والصمت، د/محمد رشيد ثابت، فقد تناولت تلك الدراسة الشخصيات والصراع القائم بينهم في تلك المجموعة.

البنية القصصية ومستويات الدلالة، قراءة قصص محمد علوان، عبد الله السمطي، اشتملت الدراسة على بنية القصص القصيرة ودلالاتها مع التطبيق على قصص محمد علوان.

الموروث الثقافي في قصص محمد علوان، د/إبراهيم محمد أبو طالب، تلك الدراسة هي استكشاف واستقراء للموروث الثقافي في المجموعات القصصية للكاتب. ومن هنا جاء البحث منفرداً بتناول تقنية الصمت بأشكاله، برع فيها كاتبنا مع اتخاذ مجموعة الخبز والصمت نموذجاً تطبيقياً.

المبحث الأول تعريف القصة القصيرة:

علينا في البداية تناول تعريف القصة القصيرة وأنواعها ومسمياتها، فهو فن نثرى ذو أهمية كبيرة لدى الكتاب في العصر الحديث والمعاصر، لما تتسم به من سمات فنية وإبداعية بالرغم من الصعوبة في تناولها وعرضها.

ونجد البعض يعرفها بأنها: قصة نثرية خيالية مختصرة تكون أقصر من الرواية تتناول عادة شخصيات قليلة، لا تتجاوز العشرة آلاف كلمة، تهدف إلى تقديم حدث وحيد غالباً ضمن مدة زمنية قصيرة، ومكان محدد غالباً لتعبير عن موقف أو جانب من جوانب الحياة.

أما محمد يوسف نجم يعرف القصة بأنها مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية محددة.^١

فقد جمع محمد يوسف نجم بين القصة والقصة القصيرة، ويفرق بينهم من خلال تسمية القصة القصيرة الأقصوصة، فأن كانت الأقصوصة تتناول قطاعاً أو شريحة أو موقفاً من الحيوانات فهي تسعى إلى إبراز صورة متأقفة واضحة المعالم واضحة القسمات لقطاع من الحياة.^٢

وهذا يدل على مدى صعوبة القصة القصيرة، فالكاتب يكون محدد الحدث والشخصيات والفكرة والزمان والمكان، ولا يملك هذه الأدوات إلا كاتب متفرد بارع يمتلك أدواته بشكل كبير حتى لا يخرج عن محددات القصة القصيرة التي يجد فيها الكتاب وسيلة ومنتفس عن مكنون مشاعرهم وواقعهم.

لذلك عددها النقاد من أصعب الأعمال الفنية التي لا يستطيعها كل امرئ، حيث تتطلب مجهوداً مضمناً.^٣

ولكن بالرغم من ذلك فهي ليست مجرد قصة تقع في صفحات قلائل، بل هي لون من ألوان الأدب الحديث، تروى خبراً، ولكي يصلح الخبر قصة يجب أن تتوافر فيه خصائص معينة.^٤

وعلى هذا فإن من خصائص الخبر أن يروى بحيث أن تتصل تفاصيله أو أجزاءه بعضها مع بعض ليكون له أثراً كلياً، ما نطلق عليه الترابط أو الوحدة، وكذلك لا بد أن يصور الخبر حدث معيناً، بأن يكون له بداية ووسط ونهاية.

ولكن نجد سؤال يطرح نفسه، وهو هل كل خبر يصلح أن يكون قصة قصيرة؟، الإجابة بالطبع لا فهناك أخبار لا تصلح للكتابة.

وتسأل آخر هل القصة القصيرة قاصرة على الحقيقة فقط، أما الخيال فقط؟، أما هي مزيج من الحقيقة والخيال؟، ولذلك أرى أن القصة القصيرة التي برع فيها الأدباء لابد أن تحمل بعض من الواقع ممزوج بخيال الكاتب حتى تلقى رواجاً وأقبال لدى المتلقين.

لذلك يرى البعض أن القصة القصيرة استطاعت أن تلبى الحاجة الحضارية. في مختلف صورها.

وقد أطلق على القصة القصيرة عدة مصطلحات، وكانت محل خلاف بين النقاد حول تلك المصطلحات، ومنها: —

ومضات قصصية، القصة القصيرة — جداً، خواطر قصصية، إحياءات، الخاطرة، الأقصوة....^٧

مراحل نشأة وتطور القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية:

ارتبط ظهورها بالتحول الحضاري والاجتماعي، وما صاحب هذا التحول من ازدياد الوعي، شأنها شأن القصة القصيرة في أقطار العالم العربي.^٨

وكأي فن من الفنون الأدبية لابد من مراحل أو أطوار يمر بها حتى يصل إلى النضج والازدهار، لهذا نجد القصة القصيرة في السعودية مرت بثلاث مراحل، وهي: —
أولاً: البدايات: —

تتمثل تلك المرحلة بالوليد الذي لم يكتمل نموه، فقد نشأت القصة القصيرة السعودية ما بين الحربين العالميتين في أحضان الصحافة، وكانت تلك المرحلة متعثرة لم تتضح ملامحها، كما أشار إلى ذلك جل الباحثين الذين تحدثوا عن بدايات القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية.^٩

فكان للصحافة دور كبير في نشر النتاج القصص، ولعل من أشهر الأعمال القصصية في تلك الفترة (على ملعب الحوادث) لعبد الوهاب أسي، و(الزواج الإجباري والحجاز بعد ٥٠٠ سنة) لمحمد حسن.

وكذلك ارتبطت القصة في تلك المرحلة بالتراث الشعبي من ملاحم وسير، وكذلك ارتبطت بفن الصحافة متمثلة بفن المقالة.

ولذلك لم تصل تلك المرحلة للنضج الفني، ولعل السبب في ذلك هو ارتباطها وتأثرها بفن المقالة في العديد من خصائص كتابتها.^{١٠}

ثانياً: مرحلة الريادة: —

تبدأ تلك المرحلة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، فقد تطورت القصة القصيرة تطور ملحوظ بخروجها من عباءة النشر في الصحافة إلى دائرة النشر المتخصص للمجموعات القصصية.

وليس ذلك العامل الوحيد الذي أدى إلى تطور فن القصة القصيرة في تلك المرحلة، ولكن هناك عوامل أخرى كانت سبب في تطورها، منها: الاستقرار السياسي، والانتعاش الاقتصادي، والتعبير الاجتماعي، والنمو الحضاري والتعليمي، وعودة المبتعثين من الخارج، وكذلك اهتمام النقاد بنشر مقالات نقدية موجهة للقصص القصيرة، وأيضاً ترجمة بعض القصص العالمية وإطلاع الأدباء عليها.^{١١} لذلك أطلق النقاد على تلك المرحلة مرحلة الريادة الفنية أو الكتاب الرواد.^{١٢}

وقد تنوعت قصص تلك المرحلة تبعاً للقضايا الاجتماعية والأفكار التي انشغلت بها عقول الكتاب ومنها: تعليم المرأة، ومعاناة الطبقات الفقيرة، والتأكيد على أهمية القيم الإنسانية العامة، كما كانت القضايا العربية القومية أثر في أعمال تلك المرحلة كالقضية الفلسطينية، وسيطرة الوجود الصهيوني عليها إلى يومنا الحالي.

ثالثاً: مرحلة النضج والازدهار:

تتسم تلك المرحلة في مجملها بمرحلة النضج، وتطور الشخصية العربية، والتقنيات الحديثة في الأعمال الأدبية، واستمر هذا النضج والازدهار إلى العصر المعاصر.

وقد ظهر في هذه المرحلة العديد من الكتاب على رأسهم في بداية تلك المرحلة محمد علوان، وحسين على حسين، فكانت مجموعة (الخبز والصمت) لمحمد علوان مثار إعجاب ومحط إنظار العديد من الكتاب والنقاد، فوجد أحد كبار القاصين العرب محمود تيمور يبدي إعجابه بتلك المجموعة ورائها مثلت القصة القصيرة الحديثة خير تمثيل.^{١٣}

وقد أدهشت تلك المجموعة صاحب (قنديل أم هاشم) يحي حقي أحد رواد القصة العربية، فلم يجد بداً من كتابة مقدمتها مبشراً وزافاً للمشهد العربي قاصاً: لا يؤلف قصة تقيداً لموضوع أو زهواً ببراعة سرد حكاية مسلية أو تلذذاً بالقدرة على الخيال، ويظل مهموماً بالترتيب الزمني أو التشريحي لأعضاء القصة، وإنما لتفتيت هموم تمتلئ بها نفسه وتنهشه.^{١٤}

ثم تبعه حسين على حسين بمجموعته الأولى (الرحيل عام ١٩٧٨م)، ثم عبد العزيز المشري بمجموعته الأولى (موت على الماء)، وأيضاً الكاتب جبار الله الحميد بمجموعته الأولى (أحزان عشية بحرية).

ومن خلال تلك المجموعات القصصية التي ظهرت في تلك المرحلة نجدها قد عبرت عن حالة من تبلور المعاني والشعور والتعمق في الشخصيات، وكذلك حالة القلق والغربة والتمزق، ولعل السبب في ذلك معاناة الكاتب من وضع العالم العربي بداية من النكسة عام ١٩٦٧م وصولاً لحرب أكتوبر عام ١٩٧٣م، وكذلك لانتشار التيارات الفكرية (كالوجودية والتجريبية.....) تأثير على كتاب العالم العربي عامة والكتاب السعوديين خاصة دور كبير في تشكيل الوجدان النفسي لديهم.

أما المرحلة التالية للقصة القصيرة بالمملكة السعودية فقد اتسمت بغزارة إنتاج وتحرر، وتنوع الكتاب في كتابتهم وأسلوبهم الأدبي، واتجاههم للواقعية بعد أن كانت الرمزية مسيطرة على معظم الكتاب من قبل، ولعل هذا ظهر في مجموعة محمد علوان الحكاية تبدأ هكذا، ومجموعة حار الله وجوه كثيرة أولها مريم، وعبد العزيز مشري أسفار السروي وبوح السنابل والزهور تبحث عن أنية.^{١٥}

وبالرغم من ذلك لا يمكن أن ننكر دور الصحافة وأثرها البالغ في نشر نتاج الكتاب السعوديين بالقصة القصيرة في بداية فترة الثمانينات، وكذلك أقبال القراء على القصص القصيرة أكثر من أي نتاج أدبي نثرى آخر، كل هذه العوامل جعلت القصة القصيرة تتألق وتزدهر بداية من الثمانينات إلى التسعينيات إلى وقتنا الحالي.

المبحث الثاني: (دلالة الصمت، والسكون، والغياب، والحذف والفرق بين تلك المصطلحات):

دلالة مفهوم الصمت في اللغة:

بالبحث عن دلالة الصمت في المعاجم وعند أهل اللغة والبلاغة تنوعت دلالاتها، وقد حاولت أن استعرض تلك المعاني للوقوف على الفروق الجوهرية بين المصطلحات المتعددة التي تدور حوله.

١- معاني الصمت في المعاجم معاني عدة منها:

الصاد والميم والتاء أصل واحد، يدل على إبهام وإغلاق^{١٦}، والصمت والصمات والصموت بمعنى واحد، والفعل صممت يصممت، وصممت يصممت صمماً وصموتاً بمعنى

سَكَتَ، وَالصُّمُوتُ وَالصُّمَاتُ: السُّكُوتُ، وَقِيلَ: طُولُهُ، وَالتَّصْمِيمُ: التَّسْكِينُ، وَهُوَ أَيْضًا: السُّكُوتُ.^{١٧}

وَالصَّمْتُ مَصْدَرٌ، وَالاسْمُ مِنْ صَمَتَ: الصَّمْتَةُ^{١٨}، وَيُقَالُ لِغَيْرِ النَّاطِقِ: صَامَتَ، وَلَا يُقَالُ: سَاكَتَ، وَأَصْمَتُهُ أَنَا إِصْمَاتًا إِذَا أَسْكَتُهُ. وَيُقَالُ: أَخَذَهُ الصُّمَاتُ إِذَا سَكَتَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ.^{١٩}

وَيَقُولُ ابْنُ فَارِسٍ: وَالصَّمُوتُ: الدَّرُوعُ اللَّيْنَةُ الَّتِي إِذَا صَبَهَا الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ لَمْ يُسْمِعْ لَهَا صَوْتًا^{٢٠}، وَتَرَكْتُهُ فِي بَلَدَةٍ أَصْمَتَ: وَهِيَ الْقَفْرَةُ الَّتِي لَا أَحَدَ بِهَا. وَقِيلَ: سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَا يَعْرِضُ فِيهَا مِنَ الْخَوْفِ، إِذْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: أَصْمَتَ.^{٢١}

الْبَيْتُ الْمُصْمَتُ: الَّذِي لَيْسَ بِمُقْفَى وَلَا مُصْرَعٍ، أَيِ الَّذِي لَا يَتَّحَدَّ عَرُوضُهُ وَضَرْبُهُ فِي الزَّنْبَعِ.^{٢٢}

وَالْحُرُوفُ الْمُصْمَتَةُ: وَهِيَ غَيْرُ حُرُوفِ الذَّلَاقَةِ السَّنَةِ.^{٢٣}

وَسَمِيَتْ بِالْمُصْمَتَةِ؛ لِأَنَّهَا صُمِتَ عَنْهَا أَنْ يُبْنَى مِنْهَا كَلِمَةٌ رِبَاعِيَّةٌ أَوْ خَمَاسِيَّةٌ مُعْرَاةٌ مِنْ حُرُوفِ الذَّلَاقَةِ.^{٢٤}

وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ الصَّمْتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾^{٢٥}.

وَكذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

(فَكُلٌّ وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) ^{٢٦}

وَهُنَا الصَّمْتُ يَدُلُّ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ عَلَى السُّكُوتِ أَيِ عَدَمِ الْكَلَامِ سِوَاءَ كَانِ فَيَمْنُ يَمْلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى الْكَلَامِ أَمْ لَا.

أَمَّا الصَّمَاتُ يَعْنِي: الشَّيْءَ الَّذِي لَا يُصْدَرُ صَوْتًا سِوَاءَ أَكَانَ جَامِدًا أَمْ مُتَحَرِّكًا مِثْلَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَكَذَلِكَ الدَّرُوعُ اللَّيْنَةُ الَّتِي لَا تُصْدَرُ صَوْتًا عِنْدَ لِبْسِهَا، وَكَذَلِكَ السِّيفُ الرَّسُوبُ وَكَذَلِكَ الْفَلَاةُ، وَمِنْ هُنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعَدَّ مِنَ الصَّمَاتِ أَيَّ حَرَكَةٍ تُؤَدِّي مَعْنَى مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ سِوَاءَ أَكَانَتْ مِنْ إِنْسَانٍ أَمْ مِنْ غَيْرِ إِنْسَانٍ، فَأَيُّ حَرَكَةٍ مِنْ غَيْرِ لَفْظٍ/صَوْتٍ هِيَ صَمْتٌ وَصَاحِبُهَا صَامِتٌ.^{٢٧}

لَعَلَى هَذَا فَالصَّمْتُ يَدُلُّ عَلَى الْإِبْهَامِ وَالْإِغْلَاقِ، فَالشَّيْءُ الْمُبْهَمُ غَيْرُ الْوَاضِحِ يَحْتَاجُ إِلَى جَهْدٍ وَتَأَمُّلٍ وَتَفْكِيرٍ يَطْلُقُ عَلَيْهِ صَامِتٌ، لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ تَأْوِيلٍ لِتَحْدِيدِ الْمَعْنَى مِنْ جِهَةِ الدَّلَالَةِ.

فهو لغة فياضة تنسم بالأهمية لعلاقته المتينة باللغة منطوقة ومكتوبة، يسبق الكلام ويعقبه.^{٢٨}

وعلى هذا فقد وجد الأديباء - شعراء وكتاب - في الصمت دلالة موحية وطاقة إبداعية تعجز اللغة أحياناً عن إيصالها للمتلقي، فهو وسيلة لترك فضاء رحب للتأويل، فكأن الكلام لا يجدي نفعاً فيجدي الصمت بلاغة موجبة ودلالة موجزة.

دلالة الصمت عند علماء اللغة والبلاغة:

أما مفهوم الصمت عند علماء اللغة والبلاغة متفق مع ما اشتملت عليه المعاجم، وأن كان هناك مصطلحات أخرى تدل عليه نحو الحذف والإيجاز.

وهذا ما ذكره الجرجاني أن الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين.^{٢٩}

هذا يشير إلى أن الحذف صورة من صور الصمت، وأن كان الصمت أعلى درجات الفصاحة في اللغة العليا، وهو صنو الصوت والصورة.^{٣٠}

أما مصطلح السكوت فنجد البعض يفرده له باباً كسيبويه قال فيه: هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة لإضمارك ما يكون مستقراً لها وموصوفاً لو أظهرته، وليس نفسه المظهر، وذلك: أن مالا وإن ولداً وإن عدداً، إي إن لهم مالا...^{٣١}

فقد عد البلاغيون السكوت من البلاغة كقول ابن المقفع عندما سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجرى في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع.^{٣٢}

والسكوت أقصر من الصمت، وطبيعته مؤقت، فهناك من يسكت فور ما يشعر بالخوف كقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾^{٣٣}

أن الغضب نار تهيج النفس، فيفقد الإنسان السيطرة على أقواله وأفعاله وتصرفاته، لذلك وجب على الإنسان وقت غضبه أن يضبط نفسه، وذلك ما أشارت الآية الكريمة لوصف حال موسى عليه السلام وقد اشتد غضبه فألق الألواح وأمسك بأخيه، ولكنه عندما تدارك فعله أخذ الألواح وقت سكوت الغضب عنه، وكأن الغضب نار تتأجج بالكلام، وحين السكوت تهدأ نار الغضب، وقد يكون المقصود بسكت أي سكوت الغضب

عنه أي زواله بعد حركة الاضطراب والحركة، فحين سكت غضب موسى سكنت كذلك أفعاله.

وقد يكون ذلك وفق ما ورد عن وصف الرسول صل الله عليه وسلم حالة الإنسان وقت غضبه بأن عليه أن يغير من حالة جسده وقت الغضب بأن يأخذ وضعية السكون وهي تدل على عدم الحركة لجميع جوارحه بمعنى تغيير وضعيته، وأيضاً السكوت عن الكلام لحين زهاب الغضب، وذلك كما ورد عن أبي ذر، قال: كان يسقي على حوض له، فجاء قوم فقال: أيكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه؟ فقال رجل: أنا، فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فذقه، وكان أبو ذر قائماً فجلس، ثم اضطجع، فقيل له: يا أبا ذر، لم جلست، ثم اضطجعت؟ قال: قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع" ^{٣٤}

ولذلك فالسكوت يعنى ترك الكلام لاعتبارات آنية أو مصلحة عابرة، نابع عن تردد أو خشية أو هاجس خوف يعتري الإنسان فيؤثر السكوت، أما الصمت قد يكون مقترن معه تأمل وتفكير عميق لحكمة تعتري الإنسان، فقد جعل جزء من الحكمة في الصمت كما ورد في قول الرسول صل الله عليه وسلم في قوله (الحكمة عشرة أجزاء: تسعة منها في العزلة، وواحد في الصمت) ^{٣٥}. ذلك يدل على أهمية الصمت وأثره.

ونجد في السكوت السلامة والأمان والخير وذلك نحو قول رسولنا الكريم: (رحم الله عبداً تكلم فغنم، أو سكت فسلم) ^{٣٦}، وأيضاً (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) ^{٣٧}.

أما عن تنوع ألفاظ الصمت أو السكوت في القرآن الكريم فجأت عديدة، تأتي تارة على سبيل التصريح وتارة على سبيل التلميح على حسب ما يستدعي المقام.

فقد استخدم البلاغيون مصطلح الإشارة وهي الإيماء بدلاً من الإيجاز أو الصمت، كما ذكر قدامة بن جعفر عن الإشارة: أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها ^{٣٨}، متأثرين بذلك بتنوع الأساليب كما ورد في القرآن الكريم كما أشرنا سابقاً.

ونجد الصمت أيضاً والسكون مظهر من مظاهر الطبيعة، وفي كل شيء موجود في الكون، فكل شيء بدايته صامت ساكن، ثم يتحول لحركة ونشاط، كالبنزرة تكون ساكنه، ثم تتحول للحركة عند تحولها إلى نبات.

ويمكن أن نستخلص أنواع الصمت كما ورد عند علماء اللغة والبلاغة والمعاجم نحو، ما يلي:

– نجد أن لغة الجسد والإشارة لغة صامتة ممكن أن تعوض اللغة الناطقة أو تشترك معها في تأدية الدلالة المقصودة وتعوضها وتقويها، وحسب الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والنقل والتثني واستدعاء الشهوة. وغير ذلك من الأمور.^{٣٩}

– وعلى هذا فالحالة الصامتة-النصية- هي ناطقة من جهة الدلالة. وإن كانت صامتة من جهة الصوت.

– ويعد الحذف والإيجاز والمسكوت عنه ضرب من الصمت؛ لأنه حذف متعمد للكلمات (الأصوات)، ولما كانت البلاغة في الإيجاز فنستطيع أن نقول: إن البلاغة في الصمت، وهذا ما أكده الجرجاني بقوله: والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تين^{٤٠}، ولكن يحدث ذلك بشرط أن يكون هذا الحذف وهذا الإيجاز غير مخل بالمعنى، فالمتكلم ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه.^{٤١}

– وهناك نوع من الكلام نستطيع أن نسميه (الكلام الصامت) وهو الذي ينطق من غير صوت، وهو ما يعبر عنه بلسان الحال، فالكلام الصامت هو تلفظ غائب أو بالغياب، أو ما يسمى المنولوج الداخلي حديث النفس للنفس.

– وكذلك الصورة المشتملة على الليل أو الموت تدل أيضا على الصمت بما تشمل عليه من إحياء.

دلالة الصمت اصطلاحاً:

لم نجد تعريف اصطلاحى جامع لمعاني الصمت على مستوياته المتعددة، وأن وجد بعض التعريفات تكون قاصرة على جانب من الجوانب دون الآخر، فالصمت لغة خاصة ناطقة بالرغم من عدم استخدام صوت، فهو كما أشار عباس محمد رضا: الصمت لغة اللغة ولغة ثانية.^{٤٢}

فالصمت له وسائل عديدة لتعبير عنه من لغة جسد وإشارة ورمز ولون وحركة وصورة، فهو كاشف القناع والخفاء للمعنى، ولعل عدم التحديد في تعريفه اصطلاحاً لتتووع صورة في كافة استعماله سواء في الأدب أو غيره.

دلالة الصمت في الشعر والقصة والرواية والمسرح :

ونجد دلالة مصطلح الصمت عند الشعراء وردت في أغراض متعددة ومختلفة، فنجد في غرض الغزل يلجأ إليه الشاعر لكتم مشاعره، خوفاً على الحبيبة وسمعتها، أو خوف من أهلها وداوين الغزالين يمتلأ بتلك الصور كقول

الشاعر عمر بن أبي ربيعة:

أشارت بطرف العين خيفةً أهلها إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم^{٤٣}

يشرح ابن هشام هذه الأبيات بأن الشاعر فإنما نفي الكلام اللفظي لا مطلق الكلام، ولو أراد بقوله (ولم تتكلم) نفي غير الكلام اللفظي لانتقض بقوله (فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً)؛ لأنه أثبت للطرف قولاً بعد أن نفي الكلام والمراد نفي الكلام اللفظي وإثبات الكلام المعنوي^{٤٤}، أي أنه كلام خفي خوفاً من أهلها.

والبعض من الشعراء يستخدم الصمت خيراً من الجواب والرد ليبدل على راحة العقل ونوع من الستر وحفظ الكرامة من الكلام، ووسيلة للبعد عن الرذائل، وهذا ما أكد عليه على بن أبي طالب كرم الله وجهه في قوله:

أن القليل من الكلام بأهله حسن وإن كثيره ممقوت
ما زال ذو صمتٍ وما من فضة فالصمتُ ذرّ زانه يا قوت!^{٤٥}

وقد تنوعت وتعددت دلالة الصمت في القصة القصيرة والرواية والمسرح، وذلك لأن كل فن منهم يقوم على مقومات لها دور سواء من شخصيات ومناظر وزمان ومكان وحدث وإخراج، فلكل مقوم دوره الذي يلجأ إليه الأديب في عرض صور للصمت والسكون وتكون أبلغ من الكلام.

فهو وسيلة تستخدم في إخراج النص واستمرار للحوار ولكن عن طريق حوار غير منطوق (الصمت)، فهو نص مخفي لا يستطيع الحوار أن يفصح عنه، مما يعطى مساحة من التأويل كما ذكرنا سابقاً.

وهذه العملية تتسم بالثراء الفني والدلالي من خلال إقامة علاقات جديدة من التناغم بين الحوار والصمت.^{٤٦}

وقد وجد مسرح صامت أو ما يسمى بالبانتميم، وهو فن يقوم على تصوير شخصية أو حالة معينة باستخدام إيماءات وتعبيرات الوجه والحركات الجسمية.^{٤٧}، فهو تمثيل صامت قائم على لغة الجسد والملابس بعيد عن الألفاظ أو ألفاظ معدودة لتوصيل

الفكرة، فالمسرح في الحداثة وما بعد الحداثة لا يحتاج إلى لغة سردية طويلة بل يحتاج إلى الإشارة، وحتى اللغة تحتوى على تلك الأساليب التي يمكن للمتلقي أن يفهم الشيء الكثير في كلمات معدودة، وهذا ما تتسم به لغتنا العربية من أساليبها الفنية الجمالية، فالصمت الذى يلجأ إليه الكاتب في أعماله الفنية يعطى له مساحة من الحرية والإبداع .

ولو نظرنا إلى فن القصة القصيرة والرواية نجد أن الأدباء لجوء إلى استخدام كلمة الصمت سواء بعض الأعمال تحمل هذا المصطلح مثل (الخبز والصمت)، و(الصمت والجدران)، و(بين الصمت والجنون)، و(قراءة في السر لتاريخ الصمت العربي) لمحمد علوان، وسباعي، وعثمان، ومحمد جبر الحربي، وفوزية أبو خالد، فالصمت هنا نجده صمت فنى، سواء بذكر اللفظ صراحة أو من خلال ثنائيات الكلام أو من خلال استخدام رمز يدل على الصمت .

وفي المبحث التالي أتناول مجموعة من المجموعات القصصية القصيرة لكاتب من المبدعين الذين تحدث عنه كبار القصصين، لمحمود تيمور، وكتب مقدمة قصصه القصيرة الخبز والصمت الروائي يحيى حقي كما ذكرنا سابقاً مما يدل على براعة وإبداع الكاتب محمد علوان، فقد وجد يحي حقي في تلك المجموعة نموذجاً لرؤية وأفكار محمد علوان عن القصة الحديثة، اتسمت بسرد جمالي عميق يعد طريقة من التنظير العالي المستوى.

وتلك المجموعة اشتملت على عدد من القصص، منها:

الخبز والصمت التي اتخذ اسم المجموعة من تلك القصة، وقصة الطيور الزرقاء، والسؤال الثالث، والجدران الترابية، وكما لا يتفقون أبداً، المرأة المشروخة، والجسر، والجنادب، ويحكى أن، والجوع كافر، وتموت واحدك، وقصة خضراء، ونعيق الغراب الأبيض، والمطلوب رأس الشاعر، الاتجاه شرقاً، والزمن والشمس، شمس الموتى.

ونجد أن هذه المجموعة تدور حول موضوع واحد للتعبير عن جانب أو جوانب الحياة، فالوحدة هي الموجه الأول المتمثلة في هذا المجتمع الصحراوي المنعزل.

المبحث الثالث: أشكال الصمت في مجموعة الخبز والصمت لمحمد علوان:

مدخل:

قبل أن ندخل في دراسة الصمت في مجموعة (الخبز والصمت) نتعرف على الكاتب محمد علوان بنبذه مختصرة فهو أحد رواد القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية توفى ٣١ أغسطس ٢٠٢٣م، وولد في أبيها عام ١٩٥٠م، حصل على درجة البكالوريوس في الأدب العربي من كلية الآداب في جامعة الملك سعود عام ١٩٧٤م، نشر ست مجموعات قصصية أولها الخبز والصمت عام ١٩٧٧م، وآخرها طائر العشا عام ٢٠٢٠م، أشرف على الصفحات الثقافية من مجلة اليمامة، وصحيفة الرياض عدة سنوات، شارك في أمسيات قصصية في الأندية الأدبية وجمعية الثقافة الفنون، وهو عضو مؤسس بمؤسسة عسير للصحافة والنشر .

كما عمل الراحل في وزارة الإعلام منذ تخرجه وتدرج في العمل إلى أن أصبح وكيلاً مساعداً لشئون الإعلام الداخلي.^{٤٨}

تضمن المجموعة القصصية (الخبز والصمت) دلالات عديدة لمفهوم الصمت كما وضحنا سابقاً في المبحث السابق من أنواع الصمت، فتارة يذكر الكاتب لفظ الصمت صراحة، وتارة يذكر السكوت، وتارة الصورة تتضمن دلالة الصمت والسكوت، وكذلك المنولوج الداخلي، والحذف ... وهذا ما نحاول عرضه في تلك المجموعة.

— ذكر لفظ الصمت صراحة:

ذكر لفظ الصمت صراحة على مستوى المجموعة عشرون مرة على النحو

التالي:

في قصة (لا يتفقون أبداً) (صمت متراكم.. يرقب بعين يملؤها الفزع تلك الدائرة من الضوء) حيث شخص الصمت كأنه شخص ينظر بعينه للفراغ والضوء.^{٤٩} وفي قصة (الخبز والصمت) يذكر الصمت أكثر من مرة نحو قوله (أليس لك سوى الصمت هو في كل الحالات التراجع الوحيد والهزيمة الفريدة).^{٥٠}

(لكنها لا تحسب هزيمة.. ولا تراجع. الصمت ... الصمت ربما يكون في قليل من الأحيان منطلقاً لصرخة متورمة)^{٥١}، وكان الأديب يضع تعريف للصمت على لسان البطل الذي يرى أن الصمت ليس هو هزيمة ولكن تعبير عن انفعال متمثل في الصراخ لتعبير عن الألم والرفض.

ويعود الكاتب ليشرح الصمت الذي توارثه أهل القرية جميعاً فهو كالمرض الذي توارثه أهل القرية، وليس هذا فحسب فالصمت ما هو إلا غابة وحشية في قوله (نبت الصمت.. غابة وحشية)^{٥٢}.

وفى قصة الخبز والصمت يجمع بين الصمت والخبز، في قوله: (وصل إلى منزله مع بزوغ الشمس رائحة البن.. والخبز.. والصمت تنتشر في المكان)^{٥٣}.
وفى قصة (الجنادب) يرى الكاتب على لسان الراوي أن الصمت وسيلة هروب في قوله: (ذكياً يعرف نقاط التشويق في حديثه.. يلوذ بالصمت حين يدرك أن الكل يرقب نتيجة ما)^{٥٤}.

وتارة يصف شدة الصمت وقوته على أهل القرية المندهبون من حديث رجل في قوله: (الصمت ينفخ الصدور.. يسمعون دقائق قلبهم بوضوح)^{٥٥}.
ويصف حالة نائب القرية وهو صامت يشاهد خلاف أبناء القرية في قوله: (ونائب القرية؟ صامت دائماً)^{٥٦}، فالبطل يتعب من صمت النائب وهو يرى خلاف ينشب بين أبناء القرية.

وفى صورة آخر من صور الصمت يعبر فيها عن الفاجعة التي حدثت للقرية، ولم تجد الغريب الذي ابهرهم بحديثه وأقواله عن اتخاذ الحذر من الطبيعة القاسية التي يعيشون بها في قوله: (الصمت يلف المكان.. فوق قمة الجبل.. الليل.. البرد القاتل.. عويل النساء.. بكاء الأطفال..)^{٥٧}، وهنا نرى أن هناك أصوات بكاء وصراخ لكن بالرغم من ذلك الصمت يعلوا وجوه الجميع من هول الأمر، صمت للعجز عن التعبير عن هول الفاجعة التي حدثت لهم.

وفي القصة تظهر نوايا الرجل - الغريب - الذي سحر أبواب أهل القرية بحديثه، ووقت الفاجعة يخرج من صمته وقت حدوث الفاجعة ليضع شروطه لمساعدة أهل القرية في قوله: (الرجل الغريب يخرج من صمته.. الصوت الساحر يبدأ في الحديث)^{٥٨}، وهو لكي يساعدهم عليهم طاعته استعبدتهم وهذا ما رفضه أهل القرية، رفضوا الخضوع والاستسلام والانكسار، وسعوا إلى بداية جديدة بعيدة عن الاستبداد والتواكل على الغير.

ومن أبرع ما وصف الكاتب به الصمت في قصة (يحكى أن) الصمت الذي يصيب العيون، وهي من أبرع الصور في أن الصمت لا يصيب الكلام فقط إنما أيضاً يصيب العيون فلا تجد تعبير سوى الدمع فقط من شدة الألم عندما يعجز الإنسان أن يعبر

عن نفسه، وذلك في قوله: (يرقب السماء.. جمل خلف جمل.. يضحك المجنون.. يصفق.. يغيب ساعة.. ساعتين يعود صامتاً وعينه حبلى بالصمت والألم.. تلد دمعة.. دمعتين)^٩، وهل تحبل العيون؟ وماذا تلد؟ غير الدمع الذي ينزل في صمت معبر عن حاله، وكأن العين والوجه تتحدث من غير كلام لتتقل للجميع أنه شخص غير معتوه كما يصفونه: (وجهه يقول.. عينه تقول.. يقول.. يا سادتي أستمعون قصتي لست معتوهاً مثلما تحسبون)^{١٠}، وقد يجمع الجميع على أن العيون هي أكبر معبر عن حالة الإنسان، فمن خلاله نستطيع أن نحكم على الشخص سواء من سعادة أو حزن، ألم أو راحة، شقاء أو نعيم، وهذا ما وضح فيما وصفه الكاتب من صمت العيون المعبرة بلغة خاصة غير جميع اللغات المعروفة.

وفى قصة (الجوع كافر) يصور حالة الجوع وآثاره السيئة التي تؤدي إلى السرقة القتل الدمار، وهذا ما حدث لبطل القصة حتى بعد حصوله على الطعام والدفء يقوده الأمر إلى الهلاك والانتقام لأنه يرى الجميع سرق منه أبسط مقومات الحياة، فيقدم على الجريمة وهو في حالة صمت مطبق في قوله: (ضرب الزجاج بقبضة يده.. المرأة لا تزال تصرخ وهو صامت.. الدم ينفجر من يده..)^{١١}، فهي صورة من صور الغياب عن الوعي الذي أصابه، وكأنه يرى معاناة حياته في تلك الثواني الصامت التي مر بها قبل أن يحاول الهرب.

وفى قصة (تموت واحدك) يطلب البطل من صديقه الخروج من أحزانه بعد وفات أمه بقوله: (أخرج من صومعتك الذهبية، اذهب إلى جبال تملؤها الحجارة الحبلى بأسرار الكون والناس، تلفها الأشجار الصامتة برهبة ووحشة)^{١٢}، فالصمت ليس قاصر على الإنسان بل يصيب الأشجار وكأنه أشخاص ترى وتسمع، ولكن اختارت الصمت الذى يزيدها رهبة ووحشة، فهو أسلوب التشخيص الذى يستخدمه الأدباء في أعمالهم.

ومن حديث البطل في مع صديقه بموته وحيداً يجعله في حالة من غياب الوعي بوصفه (ستموت وحدك، وكأنى بلكمتي هذه فجرت شيئاً ما داخل عيني، فإذا بظلام عميق يلفها وهبط الصمت، وتركته بمفرده)^{١٣} وكان كاتباً خبير بأسرار العيون وخباياها. وليس هذا فحسب فنراه يصور حالة الصيادون الذين عادوا إلى البحر بعد دفن الرجل وكأن الأمر لم يكن (دفنوه، وفى صمت عادوا إلى البحر)^{١٤}، كأن الأمر شيء يحدث كل يوم، لذلك لا مهابة له في نفوسهم فالجميع لا محالة مصيره الموت، الحياة لا بد أن تستمر.

وفى قصة (خضراء) يصف الليل بالشخص الذي يغرق في صمته، وهي صورة يتعجب لها المرء، في قوله (الليل يغرق في صمت) ^{٦٥} دليل على شدة السكون والصمت التي تحيط بالقرية ليلاً.

وأن كان محمد علون كرر وصف العيون بالصمت مرتين في تلك المجموعة، نراه في قصة (الزمن والشمس) يصف الوجوه وهي صامته، وهذا يدل دلالة واضحة على أن هناك لغة يستطيع الكاتب أن يعبر بها عن حالة أبطاله بدون لغة بالنظر في الوجوه لمعرفة الحالة دون سرد وصف أو حوار مسموع، في قوله (الشمس تزيد من صهد الحرارة فوق أرضية الشارع لتنعكس على الوجوه الصامته المتألمة) ^{٦٦}، وهي صورة معبرة عن حالة معبرة تملو وجوه الجميع من الدهشة لوجود جثة ملقاه في الطريق، وتتعالى علامات الاستفهام عن سبب موتها.

وفى قصة (شمس الموت) يصف الصمت بالرداء الذي ينقش ويزين، لكن من يقوم بذلك؟! في قوله (كانت العصافير المتجمعة تنقش بزقزقتها رداء الصمت) ^{٦٧}، وهي صورة تجمع الدهشة والغرابة في أن صوت العصافير يخرج منه ما يزين الصمت. ونجده في نفس القصة يطرح سؤال يدل على فلسفة عميق يمر بها معظم البشر وهي الهروب ولكن الهروب إلى الصمت، وكأنه ملجأ وملأ يلجأ إليه الإنسان في قوله: (تكلم.. لماذا تهرب إلى الصمت؟).

– لفظ السكون:

لم يذكر إلا مرة واحدة في قصة (الخبز والصمت)، نحو قوله: (السكون صوت هادئ ينم عن الثقة والارتياح في اختيار القرار). ^{٦٨}

– المنولوج الداخلي: ^{٦٩}

يعد أكثر الوسائل الفنية تعبيراً عن حالات الصمت التي تعاني منها الذات، بل يتجاوز الصمت الذاتية لتشمل الجميع، فالمنولوج الداخلي يتوافق مع حالات الصمت والعجز والانكسار والرفض لواقع كما وجدنا في مجموعة الخبز والصمت، فأكثر محمد علوان من المنولوج الداخلي، وذلك لاعتماده على العملية السردية على ضمير المتكلم، وعلى سبيل التمثيل للمنولوج الداخلي قصة (الخبز والصمت) التي يدور بها حوار داخلي لشاب مع نفسه قبل اتخاذ قرار بعدم الزواج، وتنتهي القصة بإظهار سلطة الأب وغضبه عندما أرادت الأم بتعبير عن وجهة نظرها، ومن العنون جمع بين الخبز رمز النعمة والرعاية والصمت الذي هو الثمن المطلوب لتلقى تلك النعمة، فالأب هو مصدر العطاء

وعلى بقية الأسرة أن يصمتوا عندما يتحدث الأب أو يأمر، لكن الابن ينطق بـ (لا) ليدل على الرفض والخروج عن طاعة الأب، ولكن قبل أن يصل الابن للرفض أخذ وقته في الصمت الذي مداره الحديث مع النفس حتى الوصول لقرار الرفض .

وفى قصة (المرأة المشروخة) نجد صورة المنولوج الداخلي أيضاً تعبير عن الصمت من صورة شاب يتمتع بنسبة من القبح ويواجه قسوة المجتمع والفقر ويدخل السجن الذي هو صورة أيضاً من صور الصمت والعزلة، وعند خروجه وفى محاولة لتحقيق حلمه بفتح دكان يعمل به تتحطم أحلامه لكونه يبيع أشياء خاص بالنساء من أدوات زينة ومرايا وصابون على يد صاحب الحذاء الضخم، فيجد المتلقي نفسه أمام تأويلات وإيهام لا يختلف عن الصمت.

— صورة الليل:

الليل بما يحمله من صمت وسكون تعدد في معظم قصص المجموعة، فقصة (الطيور الزرقاء) تناول فيها حزن الأب الذي يفقد ابنته أما عينه فيصور الليل الطويل الذى يمتلأ بالطيور الزرقاء التي جاءت لتحمل الطفلة وتتركه حزينة في قوله (الليلة الظلماء سمعته بأذني ينهش الضياء، ومن كهوف الليل رأيت تسعين طائراً بأجنحة زرقاء قادمة، الليل يلد ..،،،، من كهوف الليل تجئ من وكرها الطيور لتحمل الوحيدة الحزينة).^{٧٠}

فالقصة تنبض بالحزن لفراق الأب لابنته، ويأتي الليل بصمته المطبق على النفس لتحمل الطيور طفلته وتترك الأب في حزنه.

فالليل مجمع الهموم والأحزان، وقد يكون ظلامه مثار للوحدة والعزلة، كقوله (في الظلام يشعر الإنسان بوحدته وانفراده.. في الظلام تنمو طفيليات كثيرة سامة).^{٧١} وكثيراً ما يسدل الليل أستاره على القرية التي كانت مكان أحداث مجموعة الخبز والصمت كقوله (الليل يغرق في الصمت.. أكداً من ظلام تنتشر في كل زاوية.. الباب الكبير من خشب العرعر.. طرقت الباب.. انتظرت.. لا وقت للكلام.. ولا وقت للرؤية.. الخوف والظلام).^{٧٢}

تصميم بطل قصة الجوع كافر على البحث عن الحياة برغم من ظلمة الليل وصمته، في قوله (الليلة تزداد حلقة.. وهو يزداد بحثاً عن الحياة).^{٧٣}

وأن كان الليل مثار للهموم في بعض قصصه، فهو أيضاً وقت لتأمل والحلم لطفلة صغيرة تتخيل الحياة الناعمة والثياب الجميلة في قوله (الطفلة في فراشها نظرت

إلى سقف الغرفة الخشب المتراص فوقها أرضية جسر تخيلته ينقلها إلى هناك حيث السيارات والحياة الناعمة... والثياب الجميلة.. بعيداً عن ليالي الشتاء)^{٧٤}.
فالحلم شكل هنا ملمحاً بارزاً عن طريقة التجسيد والتشخيص^{٧٥}، وذلك لأن الأحلام نشاط إبداعي يعتمد على سيولة الوعي أو الشعور في حالات الوعي أو اللاوعي (اليقظة أو النوم) ويكون شديد التكثيف، سريع النقلات مجسداً في لغة مصورة وزمن لا تتابعي.^{٧٦}

ومن براعة تصوير الصمت أيضاً في قصة (المطلوب رأس الشاعر)، حيث يقول (نحو البئر سارت قافلة الرعاة وخلفها الجمال والأغنام والأبقار.. سارت البهائم.. سبعة حملان صغيرة بلا شفاه تخلفت وشاعر حزين)^{٧٧}.

تظهر براعة وصف الحملان بلا شفاه مما يدل يشير إلى فقد التحدث، دليل على صمتها التام، وكذلك صمت الجميع عندما يتحكم بهم الجهلاء، عندم يضيع تاريخنا وهويتنا نقد القدرة على الكلام.

— الموت:

فما لا شك فيه أن يحمل الموت صورة من صور الصمت، فكان له نصيب كبير في تلك المجموعة كقصة الطيور الزرقاء، وقصة موت واحدك، وقصة شمس الموتى وهو في تلك القصة يشير إلى ظهور الشمس التي تغيب عن دنيا الأحياء لتشرق على الأموات فهذا حق لهم كمثل الأحياء في إشراقه الشمس عليهم.
فقد تعددت صورة الموت في تلك المجموعة لتعبر عن حالة التوتر والقلق الذي ينتاب تلك الشخصيات مما يجعل كلماتهم مقطعة حين تعبر عن ذاتها بالصوت، وقد تؤثر الصمت أحياناً في التعبير عن معاناتها.

— الحذف:

نجد دلالة الحذف تواجدت في معظم قصص (الخبز والصمت) وكان الكاتب يصمت عن ذكرها لدلالاتها وعلم المتلقي بها، أو ترك مخيلته تخمن المحذوف أو الصامت عن ذكره، وذلك كقوله: (والدي رجل العسلة الذي أصيب بالروماتيزم... انحنى ظهره.. تصلبت يداه...)^{٧٨}، فهنا يصمت عن ذكر باقي الأمراض التي يعاني منها الرجل بائع العسل.

وأيضاً في قوله (أتحاكم الفئران أيها المخبول؟ ... في ثقة وهدوء: نعم نحاكم الفئران!! الموعد وإياها.. الوعد وإياكم.. حين تبرزغ الشمس.. غداً).^{٧٩}

وفى قصة الاتجاه شرقاً صورة مقرنة بين الجندي المدافع عن وطنه، والأخ الدون جوان كما وصفه يجلس خلف المذيع فهناك أشياء محذوفة تدل على الصمت عن ذكرها لحرية التأويل في قوله (الأجساد تتهاوى.. كل الجنود صورة لأخيه الحبيب.. الألم يعصره.. جبان يقبع وراء المذيع لا يملك من القدرة على المشاركة سوى كلمة (لو)).^{٨٠}

وكذلك في أنكاره لهجر الأرض، وفقد الهوية في وصف تلك المشاعر نجد هناك كلام لم يذكره في قوله (الصوت منهمر مجرداً يقول: وأرضنا.. جمالنا الحبيبة.. رجالنا.. نبيعها؟ نبيع خيرها؟ لمن، لن نستبدل الجمال ولن تموت في عيوننا نضارة الحياة)^{٨١}، فهي صورة لرفض العربي ترك أوطانه وهويته مهما كانت الإغراءات. وكذلك نجده يصور حالة الحسرة التي أصابت بطل قصة الجدران الترابية، وهو يصف حاله بعد أصيب بالحسرة والهزيمة فيصمت عن عدة أوصاف لمشاركة المتلقي الأم بطل القصة، نحو (يدخل القاعة.. التراب يعلو اللوحات.. تلك فازت بمجموعة كبيرة من الجوائز.. وتلك فازت في.. وفي.. ابتسم بنفس المسافة.. مسيرة البكاء تتجه نحو حلقه.. الدموع تتجمع.. أسنانه السفلى تعض الشفة العليا.. يبتلع الألم، الحسرة، الهزيمة وممن؟ من قرئته!)^{٨٢}.

وفى قصة السؤال الثالث يترك المخيلة للمتلقي في صور الصامت المتعددة بها، فهي هي الطالبة بقاعة الاختبار تحاول الغش لكي، لا ترسب وكذلك حالة ترقبها للمراقبة حتى تختلس الغش من صديقتها، نحو (تنظر إلى المراقبة تلتقي بعينيها.. تطيل النظر قليلاً.. لحظة تفكير كاذبة.. تنتظر.. تنتظر.. تنتظر بطرف عينيها.. ورقة معلقة على الحائط.. جمعية تحسين الخطوط.. بخط سيء.. الصبر مفتاح الفرج ...) ^{٨٣}، كأننا أمام مشهد سينمائي مصور لحالة الفتاة ومحاولتها اختلاس وقت غفلة المراقبة، وكذلك نظرات عيونها المتوجسة وما تحمله من معاني المكر والخوف والقلق.

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى معرفة الدلالة الفنية للصمت بأشكاله المختلفة في القصة القصيرة من خلال مجموعة " الخبز والصمت " لمحمد علوان، مستتبطة أشكال الصمت ودلالاته من حيث: الصمت والسكوت والسكون والحذف والإشارة.

ومن خلال هذه الدراسة قد توصلت إلى عدة نتائج، من أهمها:

- الصمت أبلغ من الحديث، فهو لغة خاصة تخرج عن دائرة الأصوات، تعطى مساحة المتلقي في تصوير ما صمت عن عرضه المؤلف.
- للصمت صور عديدة، والكاتب البارع هو الذي يستطيع أن يطوع تلك الصور في أعماله، وهذا ما امتازت به المجموعة القصصية - مادة البحث - لمحمد علوان.
- أسلوب الصمت لدى محمد علوان، مليئاً بالسر لما فيه من جدل فكري وخيالي.
- تنوعت أنماط الصمت عند محمد علوان، فاعتمد الصمت الثائر المتمرد والصمت الدال على الخوف، والصمت الدال على التفكير والتأمل.
- اعتمد محمد علوان على تقنية " المونولوج الداخلي " لكشف الصراع الداخلي للبطل. وعليه تبقى مجموعة (الخبز والصمت) لمحمد علوان - بداية أعماله القصصية- مسكونة بالصمت رغم الصوت، تحتل العديد من القراءات بأشكال شتى، على حسب قدرة القارئ وذوقه وخياله ومتعته، وقدرته على الاستنتاج.

والله ولي التوفيق

المصادر:

- القرآن الكريم.
- مجموعة الخبز والصمت، محمد علوان، القاهرة ط ١ ١٩٧٧م.
- مدونة محمد على علوان <http://www.mohammedalwan.com/index.php>

المراجع:

- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ.
- تاج العروس من جوهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٧م.
- تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفرت، تحقيق محمود الربيعي، دار المعارف القاهرة ط ٢.
- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- حاشية السندي، أحمد بن حنبل، شرح وتحقيق شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم الزبيق، مؤسسة رسالة.
- الحيوان، عمرو بن بحر بن الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني عبد القاهر الجرجاني، شرح ياسين الأيوبي المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٢م.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت ط ٣ ٢٠٠٥م.
- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهرّي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر ط ١ ١٩٥٢م .
- شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الاسترأبادي، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله بن يوسف بن احمد بن هشام الأنصاري، تحقيق عبد الغني الدقر، الشركة العربية للتوزيع، سوريا، ١٩٨٤م.

- شعب الأيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عبد العلى عبد الحميد حامد، أشرف على التحقيق مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ط ١ ٢٠٠٣م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- الصمت في الأدب المسرحي المعاصر اللامعقول أنموذجاً، سافرة ناجي، دار الينابيع، سوريا، ط ١، ٢٠١١م.
- العلامة البصرية والبنى الرمزية، قراءة في شعر عبد الهادي الفرطوسي وسردياته، عباس محمد رضا، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠١٢م.
- في الأدب العربي السعودي، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس طبعة ٢٠٠٦م.
- فن القصة، محمد يوسف نجم، دار الشروق بيروت ط ١ ١٩٩٦م.
- فن القصة القصيرة، سيد حامد النساج، دار المعارف.
- فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، مكتبة الأنجلو المصرية ط ٢ ١٩٦٤م
- كتاب الزهد الكبير، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط ٣ ١٩٩٦م.
- كتاب سيبويه تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م.
- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور دار صادر، بيروت، ط ٣ ١٤١٤هـ.
- لغة الصمت في (جرح يتكلم) للشاعر حسام حبيب الأعرجي (بحث).
- مصطلح الصمت، عباس محمد رضا، كلية التربية جامعة بابل.
- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين، تونس ١٩٨٦م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وحامد عبد القادر ومحمد النجار، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، دار الدعوة، إستنبول، تركيا، ١٩٨٩م.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط ١، ١٣٠٢هـ.

الصحف والدوريات:

- الإيقاع الحيوي ونبض الإبداع، يحيى الرخاوي، مجلة فصول مارس ١٩٨٥م.
- تطور القصة وحداتها في المملكة، جبير الملحان، المجلة الثقافية العدد ٤٠٤، ١٤٣٤هـ.
- جريدة الوطن ٢٢ جمادى الأولى ١٤٤٥هـ، ٦/١٢/٢٣٠٢م.

- القصة القصيرة جدا في الفراق، صادر الكيس مجلة الموقف الأدبي العدد ٤، ١٩٧٤م.
- القصة القصيرة السعودية المعاصرة، سوسن محمد عبد الجواد، مجلة حوليات الدراسات الإسلامية العربية، العدد ٣٣، المجلد الخامس
- القصة القصيرة في السعودية، محمود عبد الله الرمي، مجلة الحوية، العدد ٣٦، ١٤٣٣هـ.
- القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، الهاجري السحمي، نادي الرياض الأدبي ط١ ١٩٨٧م.
- مدخل إلى الصمت في النص السردي، محي الدين حمدي، جلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر العدد ٨، ٢٠١١م.

الهوامش:

- ١ فن القصة، محمد يوسف نجم، ص ٩، دار الشروق بيروت ط١ ١٩٩٦م .
- ٢ المرجع السابق ص٩١٠ بتصرف.
- ٣ فن القصة القصيرة، سيد حامد النجاج، ص١٦، دار المعارف .
- ٤ فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، ص١١٦، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤م .
- ٥ المرجع السابق ص١٤ بتصرف .
- ٦ القصة القصيرة جدا في العراق، صادر الكيس، ص٤٢، مجلة الموقف الأدبي العدد ٤، ١٩٧٤م .
- ٧ القصة القصيرة في السعودية، محمود عبد الله الرمي ص٦، مجلة الحوية ضيف، العدد ٣٣٠، ١٤٣٣هـ .
- ٨ القصة القصيرة السعودية المعاصرة، سوسن محمد عبد الجواد ص١٠٩، مجلة الحوليات الدراسات الإسلامية العربية، العدد ٣٣، المجلد الخامس .
- ٩ القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، الهاجري السحبي ص٦١، ٦٢، نادي الرياض الأدبي ط١ ١٩٨٧م .
- ١٠ تطور القصة وحداثتها في المملكة، جبير الملحان، المجلة الثقافية العدد ٤٠٤، ١٤٣٤هـ .
- ١١ القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ص٢٢٧، بتصرف .
- ١٢ في الأدب العربي السعودي، محمد صالح المنطقي، ص٣٠، دار الأندلس طبعه ٢٠٠٦م .
- ١٣ الخبز والصمت، محمد علوان ص٢، القاهرة ط١ ١٩٧٧م، بتصرف .
- ١٤ جريدة الوطن ٢٢ جمادى الأولى ١٤٤٥هـ، ١٢/٦/٢٣م .
- ١٥ في الأدب العربي السعودي، محمد صالح المنطقي ص٣١٥، ٣٣٠ بتصرف .
- ١٦ مقياس اللغة ج ٣ ص٣٠٨ مادة صمت.
- ١٧ لسان العرب: ٥٤/٢ (صمت)، وتاج العروس: ٥٩١/٤ (صمت).
- ١٨ المرجع السابق.
- ١٩ جمهرة اللغة: ٤٠٠/١ (صمت)، والصحاح: ٢٥٦/١ (صمت)، والمعجم الوسيط: ٥٢٢ (صمت).
- ٢٠ مقياس اللغة: ٣٠٨/٣ (صمت).
- ٢١ تاج العروس: ٥٩٣/٤ (صمت).
- ٢٢ المرجع السابق.
- ٢٣ وسميت لَلْفَا لَأَنَّ مَخَارِجَهَا مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ وَيَلْتَقِ كُلُّ شَيْءٍ وَتَوَلَّقَهُ: طَرْفُهُ، وهي ستة حُرُوفٍ (ر، ل، ن، ف، ب، م). ينظر: لسان العرب: ١٠/ ١١٠.
- ٢٤ ينظر شرح شافية ابن الحاجب: ٢٦٢/٣، و شرح التصريح على التوضيح: ٣٣٤/٢.
- ٢٥ سورة الأعراف آية ١٩٣.
- ٢٦ سورة مريم آية ٢٦.
- ٢٧ مصطلح الصمت، عباس محمد رضا، كلية التربية جامعة بابل .
- ٢٨ منخل إلى الصمت في النص السردي، ص١٣٤، محي الدين حمدي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر العدد ٢٠١١م .
- ٢٩ دلالات الإعجاز في علم المعاني عبد القاهر الجرجاني ص١٧٧، شرح ياسين الأيوبي المكتبة المصرية بيروت ٢٠٠٢م .
- ٣٠ العلامة البصرية والبنى الرمزية، قراءة في شعر عبد الهادي الفرطوسي وسردياته، عباس محمد رضا ص٦٨، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٢م.
- ٣١ كتاب سبويه تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٤١/٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- ٣٢ البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، ١١٤/١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ.
- ٣٣ سورة الأعراف آية ١٥٤.
- ٣٤ حاشية السندي، أحمد بن حنبل، مترجم وتحقيق شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم الزبيق، ٢١٣٤٨، مؤسسة رسالة .
- ٣٥ كتاب الزهد الكبير، أحمد بن الحسين البيهقي ص٩٥، تحقيق عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط٣ ١٩٩٦م.
- ٣٦ شعب الأيمان، أحمد بن الحسين البيهقي ١٧/٧ تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، أشراف على التحقيق مختار أحمد الندي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ط١ ٢٠٠٣م.
- ٣٧ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ١٣٥٢/٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت .
- ٣٨ نقد الشعر، قدامة بن جعفر ص١٥٢، مطبعة الجولث، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.
- ٣٩ البيان والتبيين: ٨٤/١.
- ٤٠ دلالات الإعجاز ص١٤٦.
- ٤١ الحيوان، عمرو بن بحر بن الجاحظ ص٦٢، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- ٤٢ لغة الصمت في (جرح يتكلم) للشاعر حسام حبيب الأعرجي: ١ (بحث).
- ٤٣ شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخرومي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ١٩٦، مطبعة المساعدة مصر ط١ ١٩٥٢م .
- ٤٤ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأضاري، ٣٧-٣٩ تحقيق عبد الغني النقر، الشركة العربية للتوزيع، سوريا، ١٩٨٤م.
- ٤٥ ديوان الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق عبد الرحمن المصطوفي ص٤٩، دار المعرفة بيروت ط٣ ٢٠٠٥م.
- ٤٦ الصمت في الأدب المسرحي المعاصر للامعقول أنموذجاً، سافرة ناجي ص١٢، ١٢، دار الزينبيغ، سوريا، ط١، ٢٠١١م.
- ٤٧ معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي ص١٠٦، المؤسسة العربية للنشر، تونس ١٩٨٦م .
- ٤٨ مدونة محمد على علوان <http://www.mohammedalwan.com/index.php>.
- ٤٩ مدونة محمد علوان مجموعة الخبز والصمت، قصة لا يتفقون أبداً.
- ٥٠ المرجع السابق، قصة الخبز والصمت .
- ٥١ المرجع السابق.
- ٥٢ المرجع السابق .
- ٥٣ مدونة محمد علوان، قصة الخبز والصمت

- ^{٤٤} المرجع السابق، قصة الجنادب .
- ^{٤٥} المرجع السابق .
- ^{٤٦} المرجع السابق.
- ^{٤٧} مدونة محمد علوان، الجنادب.
- ^{٤٨} المرجع السابق .
- ^{٤٩} المرجع السابق، قصة يحكى أن .
- ^{٦٠} مدونة محمد علوان، قصة يحكى أن .
- ^{٦١} المرجع السابق، قصة الجوع كافر .
- ^{٦٢} المرجع السابق، قصة تموت واحذك .
- ^{٦٣} مدونة محمد علوان، قصة تموت واحذك .
- ^{٦٤} المرجع السابق.
- ^{٦٥} المرجع السابق، قصة خضراء
- ^{٦٦} مدونة محمد علوان، قصة الزمن والشمس .
- ^{٦٧} المرجع السابق، قصة شمس الموت .
- ^{٦٨} المرجع السابق، قصة الخبز والصمت .
- ^{٦٩} هو ذلك التكنيك المستخدم في القصص بهدف تقديم المحتوى النفسي للشخصية والعمليات النفسية لديها، وذلك في مستويات مختلفة للانضباط الوعي . انظر تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفرت، تحقيق محمود الربيعي، ص ٤٤ دار المعارف القاهرة ط٢٠٠٠.
- ^{٧٠} مدونة محمد علوان، الطيور الزرقاء.
- ^{٧١} المرجع السابق، قصة لا يتفقون أبداً .
- ^{٧٢} المرجع السابق، قصة خضراء .
- ^{٧٣} مدونة محمد علوان، الجوع كافر .
- ^{٧٤} المرجع السابق، قصة الجسر .
- ^{٧٥} التشخيص هو إبراز الحسى — غير العاقل — في صورة بشرية، أما التجسيد أو التجسيم هو إبراز معنوي في صورة حسية غير عاقلة .
- ^{٧٦} الإيقاع الحيوي ونبض الإبداع، يحيى الرخاوي، ص ٦٧، مجلة فصول مارس ١٩٨٥م.
- ^{٧٧} مدونة محمد علوان، قصة المطلوب رأس الشاعر .
- ^{٧٨} مدونة محمد علوان، قصة خضراء .
- ^{٧٩} مدونة محمد علوان، قصة مطلوب رأس الشاعر .
- ^{٨٠} المرجع السابق .
- ^{٨١} المرجع السابق، قصة يحكى أن .
- ^{٨٢} مدونة محمد علوان، قصة الجنان الترابية .
- ^{٨٣} المرجع السابق، السؤال الثالث .

